



مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية .  
إعداد الدكتورة : فاطمة قاسم. - جامعة أدرار-

### الملخص

إن النظريات الفقهية ذات مجال مهم في الدراسات الشرعية لما تضيفه من جدة في إعادة صياغة الفقه الإسلامي. إلا أن مراحل إعداد هذه النظريات من الصعوبة بمكان، لذا كان من المهم النظر في مناهج إخراج هذه النظريات إلى الواقع، وبعد البحث والتتبع بدا أن صياغتها يمر بأربعة مراحل : منهج طرح النظرية من حيث اختيارها وذلك بحسب حاجة الواقع إليها، ثم منهج طرحها من حيث الاعتماد على العقل المقاصدي، ثم منهج طرحها من حيث بنائها وهو على وجهين: جمع مادتها الأولية، ثم ترتيبها، وأخيرا منهج طرحها من حيث الأسلوب و عرضها بشكلها النهائي

### ABSTRACT:

The domain of theories of fikh is very important for waht he bring of modernity on Islamic sciences.

This was important elicitation method formation of theories of Fikh in this points:

- Method formation theories whence seletion.
- Method formation theories dependence on the rational mind.
- Method formation theories whence build.
- Method formation theories whence display in the final form.



- مقدمة .

- المطلب الأول: منهج طرح النظرية من حيث اختيارها ( بحسب حاجة الواقع إليها ) .
- المطلب الثاني: منهج طرحها من حيث الاعتماد على العقل المقاصدي .
- المطلب الثالث: منهج طرحها من حيث بنائها ( جمع مادتها الأولية ) .
- المطلب الرابع: منهج طرحها من حيث بنائها ( ترتيب مادتها العلمية ) .
- المطلب الخامس: منهج طرحها من حيث الأسلوب ( عرضها في الشكل النهائي ) .
- خاتمة .

### المطلب الأول: منهج طرحها من حيث اختيارها (بحسب حاجة الواقع إليها) .

هذه هي نقطة الانطلاق في البحث عن النظريات الفقهية، أي اختيارها بالمعنى الدقيق؛ فمن المنهجية الصحيحة

في التنظير الانطلاق من الواقع إلى النصوص و ليس العكس<sup>1</sup> .

حيث كتب باقر بري في "قضايا إسلامية معاصرة"<sup>2</sup> :على الممارس في هذه المرحلة الأولى أن يسعى إلى استيعاب مع أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع الخارجي من مشاكل ، وما قدمته من حلول وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ونقاط فراغ ، كل ذلك ليشكل لديه نقطة انطلاق مبدئية يتجه بعدها إلى درس الموضوع الذي تبناه وتقييمه تقييما شاملا من وجهة نظر الإسلام ، وفق معطيات القرآن والسنة الشريفة ؛ من أحكام ومفاهيم وأفكار للوصول أخيرا إلى اكتشاف النظرية الإسلامية الشاملة فيه ، على أن يمر بمراحل أساسية وخطوات ضرورية هي كالاتي :

- 1 - **المسح** : إن الدراسات المعاصرة تسيرا حثيثا نحو بيان حكم الإسلام في كافة جوانب الحياة المعاصرة ؛ بيانا مؤسسا على نظريات خاصة بكل فرع من فروع المعرفة التي تهتم بهذه الجوانب ، على أن الواضح كذلك أن هذه الدراسات لا تسير بالسرعة والشمول والعمق نفسه في كافة الجوانب ؛ إذ حظي بعضها بالعناية الواضحة مثل المعاملات المالية والأحوال الشخصية ، بينما لم يلق البعض الآخر الاهتمام اللازم ، وذلك بحسب الحاجة إلى العنصر الأولى فالأولى ، أو كما يسمى بفقهاء الأولويات ، فالدارس في مجال التنظير الفقهي يدرك بنظره في حال الأمة ما هو أولى بالعناية ودراسته والتقنين له أولا ، وما يمكن أو يحسن تأجيله بحسب الثغرات والنواقص ، فإن هذا العمل هو من جملة الأعمال التي ينبغي البدء بها ، وهو ما يسمى بمرحلة المسح ( الكشف ) .

<sup>1</sup> - المصدر : السنن التاريخية : ( ص/ 34-38 ) ، بواسطة : جمال الدين عطية : نحو تفعيل مقاصد الشريعة : ( ص/ 212 ) .

<sup>2</sup> - قضايا إسلامية معاصرة : العدد 11-12 / 177-178 ، بواسطة : نحو تفعيل مقاصد الشريعة : ( ص/ 212 ) .

مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية

2 - التقييم<sup>3</sup>: وهذه المرحلة قد تتداخل مع المرحلة السابقة لما بينهما من ترابط ، ومن الضروري هنا أن نشير إلى أن سد هذه الثغرات والنواقص قد يتم ظاهرياً أو مادياً بعمل دراسات في كل منها، ولكن من الضروري أن يعكف بعض الخبراء على تقييم هذه الدراسات للاطمئنان إلى كفايتها بالمطلوب ، أو لبيان ما قد يحتاجه البعض منها من استكمال واستيفاء .

3 - الأعمال المساعدة<sup>4</sup>: ومن أهم ما ينبغي الاهتمام به وإعطاؤه الأولوية هو الأعمال المساعدة لتيسير الدراسات في مجال التنظير ؛ من ذلك مثلاً تحقيق ونشر العديد من أمهات كتب التراث الرئيسية التي لم ترى النور بعد ..

وما يلزم من أعمال موسوعية ومعجمية وفهرسة ، لتيسير رجوع المختصين في العلوم المعاصرة إلى كتب التراث . وما أشرت إليه من قبل في خصوص حصر القواعد وتصنيفها بصورة شاملة للانطلاق منها إلى وضع نظريات عامة على مستوى الشريعة ككل ، وعلى مستوى كل قسم ، وكل باب منه .

-المطلب الثاني : منهج طرحها من حيث الاعتماد على العقل المقاصدي .

وهذا المطلب هو أساس بناء المطلب الأول ، بل هو عماده ، فالفكر المقاصدي هو الوسيلة لاختيار النظرية الفقهية ، بالانطلاق من واقع تشوبه صراعات الأولويات وتشبهه فيه المصالح والمفاسد ، فليس بشيء قادر على تمييز ذلك من العقل المقاصدي وأدواته .

وقد بسط الأستاذ الريسوني فقال : " فائدة المقاصد لا تنحصر في الاجتهاد والمجتهدين ، بل يمكن تحصيلها لكل من تشبع بها ، أو تزود بنصيب منها ، وتكون فائدته بقدر علمه وفهمه لمقاصد الشريعة ، وبقدر اعتماده لها ، واعتماده عليها ؛ فالمقاصد بأسسها ومراميها ، وبكلياتها مع جزئياتها ، وبأقسامها ومراتبها ، وبمسالكها ووسائلها ، تشكل منهجاً متميزاً للفكر والنظر والتحليل ، والاستنتاج والتركيب " <sup>5</sup>؛ وهذه هي الأدوات الحقيقية والفعالة لبناء النظرية الفقهية .

و تظهر فائدة المقاصد في اختيار النظرية واكتشافها أو تأسيسها في نقاط ثلاث مهمة :

<sup>3</sup> - نحو تفعيل مقاصد الشريعة : ( ص/ 225 ) .

<sup>4</sup> - انظر : المرجع السابق .

<sup>5</sup> - الفكر المقاصدي قواعده وفوائده؛ أحمد الريسوني: ( ص/ 99-104 ) .

مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية

- 1 - إن تحديد المقصد ومدى أولويته ، وملاءمته للشرع والواقع معا ، ومدى جدواه ومشروعيته ، هو الذي يحدد المضي أو عدمه ، وهو الذي يحدد ما يجب التركيز عليه ، وما لا يستحق ذلك .
  - 2 - إن العقل المقاصدي هو عقل ترتيبى أولي للمصالح والمفاسد وكافة الشؤون .
  - 3 - كما أن الفكر المقاصدي فكر ترتيبى فهو أيضا فكر تركيبى ؛ فالمقاصد العامة قامت على الاستقراء والتركيب ، مثلما قامت على المفاضلة والترتيب ؛ فالتعامل مع المقاصد وعلماء المقاصد ينشئ عقلية استقرائية وفكرا تركيبيا يستقرىء الجزئيات ويربط بينها ، ويركب بعضها مع بعض ، ليصل إلى الكليات .
- هذه النظرة المقاصدية أفضل ضمان للتوازن بين الثوابت والمتغيرات ، بين المرونة والصلابة ، بين الليونة والصرامة ...

المطلب الثالث : منهج طرحها من حيث بنائها ( جمع مادتها الأولية ) :

بعد النظر في الواقع وتحديد نقطة الانطلاق للبدء في إعداد نظرية تأتي أهم مرحلة في صياغة النظرية الفقهية ، وهي مرحلة جمع مادتها الأولية من أجل اكتمال البناء ، أو الصرح المراد بناؤه ؛ وتعتمد أساسا على مسلكين أساسيين هما :

- 1- مسلك الاستقراء<sup>6</sup> : فهو المنهج الأساسي لبناء النظرية ، وفي هذا الصدد ذكر الأستاذ سعيد رحيمان<sup>7</sup> أنه على سعيد الاستقراء يرى البعض أن المواد الأولية التي ينبغي جمعها هي النصوص الشرعية ، والأحكام والآراء الفقهية المنتشرة في مختلف تأليفات فقهاء وعلماء الإسلام<sup>8</sup> .

إذا فالخطوتان الرئيسيتان تتمثلان في الوهلة الأولى بجمع وتشذيب النصوص ، والتعامل معها بالطريقتين التجزيئية والشمولية ؛ هكذا فإن النصوص المستقرأة تنقسم إلى فئات ثلاث من حيث صلتها بالنظرية التي ستكون لاحقا في ذهن الفقيه<sup>9</sup> :

6 - انظر : الاستقراء وأثره في القواعد الأصولية والفقهية / للباحث الشيخ الطيب السنوسي أحمد، بتقديم وإشراف فضيلة الدكتور يعقوب الباحثين المرجع: المشاركة (32) على هذا الرابط: <http://www.aahlalhdeth.com/vb//showt...3&pagenumber=3>

7 - سعيد رحيمان : منهج اكتشاف الملاك وأثره في تغيير الأحكام ، مجلة : قضايا إسلامية معاصرة : العدد : 9-10 ، (ص/ 190-194 ) .

8 - انظر : فريد الأنصاري : أبعاديات البحث في العلوم الشرعية : (ص/ 141 ) .

9 - انظر : نحو تفعيل مقاصد الشريعة : (ص/ 213 و230 ) .

أ- النصوص الصريحة في تأييد هذه النظرية .

ب- النصوص الصريحة في عدم تأييد هذه النظرية .

ج- النصوص غير الصريحة في الموافقة أو عدم الموافقة .

و فيما يتعلق بهذه الأخيرة يحتاج فهم النص والكشف عن مضمونه إلى كفاءة اجتهادية فائقة .

فالاستقراء بنوعيه التام والناقص هو أرقى المناهج العلمية ، والمعارف الاستقرائية الكلية هي أرقى المعارف وأقواها ، لأنها تجمع بين معرفة الجزئيات ومعرفة الكليات ، فالقضايا الاستقرائية تبدأ أولاً بالبحث الواسع الدقيق على صعيد الجزئيات ، ثم تنتقل إلى الربط والتركيب لتصل في النهاية إلى الأحكام والحقائق الكلية ؛ فهي تجمع العلم بالجزئيات ، والعلم بالكليات ، والعلم بالربط والتنسيق ، والتركيب ؛ وهذه كلها هي أرقى صور العمل العلمي والعقل العلمي ...

2- مسلك الاستنباط<sup>10</sup> : وهو استنباط الأحكام الكلية من أصولها ومصادرها الشرعية ، اعتماداً إما على المادة الأولية الأساسية لصياغة النظريات ، وهي القواعد الفقهية والأصولية من جهة ، وإلا فالرجوع إلى مصادر الشريعة الأصلية ، النقلية والعقلية ، إذا لم تكن المادة جاهزة على شكل هذه القواعد ؛ وإن هذا المسلك في الحقيقة يعتمد أساساً على الاستقراء الذي يقدم له المادة جاهزة لاستخراج الأحكام منها ، وتوظيفها في بناء النظرية الفقهية ..

-المطلب الرابع : منهج طرحها من حيث بنائها ( ترتيب مادتها العلمية ) :

لم أر كلاماً أجملاً مما وجدته عند العلامة الفقيه ابن جزري الكلبي المالكي ، يقاس عليه في كيفية ترتيب مادة النظريات الفقهية وحسن استغلالها وتشكيلها في قالب جميل ، فقال : " ضمنت كل شكل إلى شكله ، وألحقت كل فرع إلى أصله ، وربما جمعت في ترجمة واحدة ما يفرقه الناس في تراجم كثيرة ، راعياً للمقاربة والمشاكله ، ورغبة في

<sup>10</sup> - انظر : محمد الروكي : نظرية القعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء : ( ص/ 639 ) .

مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية

الاختصار ...<sup>11</sup>؛ فنستفيد من كلام ابن جزري أنه هنالك خطوات ومراحل أساسية في تكوين النظرية الفقهية على النحو الآتي :

- ضم كل شيء إلى مشاكله .

- إلحاق كل فرع بأصله .

- الجمع : فيجمع تحت العنوان الواحد ( الكتاب ) ما فرقه المؤلفون في كتب كثيرة ، فهو وإن بدأ جهدا موسوعيا متمثلا في الجمع الموسوعي للمادة المتعلقة بالموضوع من الأبواب المختلفة ، إلا أن ذلك يؤدي في معظم الأحيان إلى استخراج القواعد والضوابط التي تعين على تكوين النظرية .

- الفروق العلمية : يعين على التفريق بين المسائل الفقهية ، وهذا أهم ما يلزم حركة التنظير ، ويقوم أساسا على منهج المقارنة على عدة مستويات ؛ بين آراء علماء الإسلام بمختلف مدارسهم الفقهية ؛ وهو ما يسمى بالاختلاف الفقهي<sup>12</sup> من جهة ، وبين النظريات الأخرى القديمة والحديثة في الموضوع ذاته ؛ وقد ساعد استخدام منهج الدراسات المقارنة الباحثين في اكتشاف الكثير من الكنوز العلمية التي لم تخطر على بالهم ، لولا الحرص على توفية المقارنة حقها .

المطلب الخامس : منهج طرحها من حيث الأسلوب ( عرضها في الشكل النهائي ) :

إن مهارة الباحث تبدو في حسن العرض ، وتتجلى في ترتيب الأفكار وترابطها ؛ وهو ليس بالأمر السهل ؛ إذ أن تسلسل الأفكار وحسن عرضها انعكاس تام لوضوح الموضوع في ذهن الباحث وإحاطته به وحسن فهمه له . وإدراكا من فقهاء التنظير نجد أنهم عالجوا مادة وموضوعات النظريات بحسب الخطوات التالية :

1 - تحليل الموضوعات إلى مفردات وجزئيات ..

2 - التحليل العلمي المفصل الذي يتطلب تصوير الموضوع بصورة واضحة حتى يتيسر للقارئ فهم الجوانب قبل

الخوض في تفاصيل القضية ..

<sup>11</sup> - ابن جزري الكلبي المالكي : القوانين الفقهية : ( ص / 53 ) . تنبيه : يعتبر كتاب ابن جزري رحمه الله هذا النواة الأولى في إعادة صياغة الفقه الإسلامي وكيفيته ، لا من ناحية المضمون ، ولا من الناحية التسمية والعنوان ، لما سماه بالقوانين الفقهية ، وبالتالي يمكننا القول أنه رحمه الله أول من أشار إلى النظرية الفقهية ، وعليه فتكون فكرة النظريات الفقهية وطرحها قديمة ، وليس بوليدة القرن العشرين كما يقال ، والله أعلم .

<sup>12</sup> - انظر : : نظرية القعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء : ( ص / 641 - 643 ) .

مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية

- 3 - تقرير الموضوع بعرضه في صورة مجردة ، ووصف حقيقي في أسلوب علمي مبسط متبوعا بالآراء والمذاهب والاستدلال لها ، وذكر الاعتراضات على المرجوح منها ، ليخلص من ذلك إلى الرأي الراجح والاستدلال له ..
- 4 - الموضوع البدهي التصور ، لا يحتاج إلى عرض أمثلة ، كما أنه في غنى عن التقرير ، فمن ثم ينتقل المنظر إلى المذاهب والآراء ابتداء .
- 5 - استعمال الأسلوب العلمي الواضح ، الذي يخاطب العقل ويقبله المنطق ...
- 6 - تحرير محل النزاع ، يأتي هذا تبعا ومحاولة الوقوف على المقصود من العبارات دون الوقوف عند ظاهرها ن وعدم تبين مقصود قائلها ، وسير المراد ..
- 7 - البعد عن التعميم في الأحكام ..

أسلوب الصياغة في الشكل النهائي :

النظرية الفقهية قد تصاغ على شكل بحث ، أو كتاب مطول ، والتعبير عنها قد يكون بلفظة واحدة ، أو عبارة ، تجمع تحتها كل ما يتعلق بذلك العنصر ، فتكون دالة على المضمون الذي يسرد في البحث .  
خاتمة :

في نهاية هذا البحث أظن أنه قد اتضحت صورة مسألة صياغة النظرية الفقهية ، وما تمر به من مراحل ، وما تعتمده من مناهج في ذلك ، وتلخيص ما سبق ترتيبه وتحقيقه على النحو الآتي :

- 1 - اختيار النظرية الفقهية بربطها بالواقع وبحسب الحاجة إليها ، يكون بالاعتماد على المصالح والمقاصد ، فالعقل المقاصدي هو المعيار في هذه المرحلة ، وهذا كما ترى يعتمد على المنهج المقاصدي .
- 2 - جمع مادة النظرية الفقهية الأولية يكون بالاعتماد على استنباط النصوص الشرعية النقلية منها والعقلية ، وعلى استقراء فروع الشريعة بما في ذلك ما هو جاهز من القواعد الفقهية والأصولية ، وهذا كما هو واضح يعتمد فيه على المنهج الاستقرائي والاستنباطي .
- 3 - بناء النظريات الفقهية بترتيب مادتها العلمية ، يكون بالاعتماد على مراحل جزئية ، كالجمع والترتيب والتركيب والتنسيق ، والمقارنة خاصة في توضيح فقه الخلاف ، وهذا كما هو معروف يكون بالاعتماد على المنهج المقارن .
- 4 - عرضها في الشكل النهائي ، فالنظرية الفقهية تصاغ على شكل بحث أو كتاب منطور ، والتعبير عنها قد يكون بلفظة واحدة أو عبارة قصيرة تجمع تحتها ما تفرق في الكتب ، على شكل فقرات قانونية ومواد دستورية ، وهذا يكون بالاعتماد بطبيعة الحال على المنهج القانوني في الأسلوب والمحتوى .

مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية

بمذه النظرية والمناهج المذكورة يلبس الفقه حلة جديدة ، وثوبا عصريا ، يواكب التحولات والتغيرات والتحديات الراهنة ، فنكون قد جمعنا بين الأصالة والمعاصرة ، ولم نفرط في القديم ولم ننكر الجديد ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

قائمة أهم المصادر والمراجع :

- أبحاث البحث في العلوم الشرعية ( محاولة في التأصيل المنهجي ) ، فريد الأنصاري ، ط 1 دار الكلمة ، المنصورة ، مصر ، سنة 1423 هـ 2002 م .
- التنظير الفقهي ، جمال الدين عطية ، ط 1 الدوحة قطر ، سنة 1407 هـ 1987 م .
- التقعيد الفقهي عند القاضي عبد الوهاب ، عبد الله الهلالي ، ط 1 أنفوا برنت ، فاس ، سنة 1425 هـ 2004 م .
- الفكر المقاصدي قواعده وفوائده؛ أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، ديسمبر 1999م.
- كتابة البحث العلمي - صياغة جديدة - ، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 9 مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، سنة 1423 هـ .
- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتبنيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، ابن جزري الكلبي الغرناطي، ت محمد بن سيدي محمد مولاي.
- كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الفقهية ، القسم الأول + القسم الثاني ، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 2 دار الشروق ، جدة ، سنة 1426 هـ 2005 م .
- كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات القرآنية والسنة النبوية والعقيدة الإسلامية، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 3 دار الشروق ، جدة ، سنة 1426 هـ 2006 م .
- كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات العربي والتاريخية ، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 1 دار الشروق ، جدة ، سنة 1416 هـ 1995 م .
- النظريات الفقهية ، فتحي الدريني ، ط 4 منشورات جامعة دمشق ، سنة 1417 هـ 1997 م .
- نظرية التقعيد الأصولي ، أيمن عبد الحميد البدارين ، ط 1 دار ابن حزم ، بيروت ، سنة 1427 هـ 2007 م .
- نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء ، محمد الروكي ، ط 1 دار ابن حزم ، بيروت ، سنة 1421 هـ 2000 م .

مناهج الصياغة والبحث في النظريات الفقهية

- نحو تفعيل مقاصد الشريعة ، جمال الدين عطية ، ط 1 دار الفكر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، دمشق ، سنة 1422 هـ 2001 م .
- منهج البحث في أصول الفقه ، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 1 دار ابن حزم ، بيروت ، سنة 1420 هـ 1999 م .
- منهج البحث في الفقه الإسلامي ، خصائصه ونقائضه وترتيب موضوعاته ، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 3 مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، سنة 1427 هـ 2006 م .
- منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه وأصوله ( تأصيل و تحليل ) ، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، ط 1 دار ابن حزم ، بيروت ، سنة 1420 هـ 1999 م .
- الفقه والتشريع في ظل العولمة ( النظريات الفقهية ) ، يحيى عز الدين ، مقال ضمن مجلة الحقيقة من ص 149 إلى ص 165 ، مجلة علمية فكرية محكمة ، تصدرها دوريا جامعة أدرار ، العدد الأول أكتوبر سنة 2002 م .